

كيف يستفاد

من

الشعر الجاهلي

في

دراسة جغرافية الجـ

الشعر الجاهلي مكانة مرموقة كابرز فنون الأدب العربي . واستمرت هذه المكانة على مر القرون . ولقد أصبح الشعر الجاهلي مقصد كثير من الباحثين ينقبون بين أبياته عن كل ما يتعلق بعبارة العرب قبل الإسلام . ومن حسن حظ الباحثين على اختلاف تخصصاتهم أن العرب قد توارثوا هذا التراث الأدبي « الشعر الجاهلي » وصانوه كإمانة يراعونها ، وتمهلوه بالرواية والحفظ .

ويكفي أن نقول أن الشعراء العرب منذ أن قيل الشعر وحتى الآن - رغم تباعد الزمن واختلاف البيئات - لم يستطيعوا التمرد على هذه النظم والتقاليد التي صاغها هؤلاء « الشعراء الجاهليون » من أوزان وقافية . ولا تزال المحاولات العديدة المختلفة التي تحاول الفكاه من أسر « الأوزان » التي تعارف عليها هؤلاء « الجاهليون » مرفوضة من أكثرية الناطقين بالضاد ولا تلقى استحسانا أو إذانا صاغية .

إن من يدرس ما سلم من الضياع ووعته ذاكرة الرواة من الشعر الجاهلي يجد أنه متفتا وقافية ، وتقودنا هذه الحقيقة إلى أن هذا الشعر لا يمثل المحاولات الأولى التي بداها العرب في مجال الشعر بل أنه نتاج محاولات ومراحل لا بد وأن يكون الشعر قد خاضها ومر بها حتى وصل إلى هذا المستوى .

# زينة العربية

دكتور محمد محمود محمد

أستاذ الجراميا المساعد بجامعة الرياض

ويرى « بروكلمان » (١) أن محاولات الشعر قديمة ، وأن ممارسة فن وصف الحيوان والطبيعة في شعر البدو يمثل ما كان عند أسلافهم الذين اتخذوا من ذلك وسيلة إلى سحر المطر والصيد .

وفي تتبعنا لبداية « الشعر الجاهلي » ، تستوقفنا كلمة « الشعر » قليلا ، ما أصل هذه الكلمة وماذا تعني ؟

يذهب بعض الباحثين إلى أن الشعراء في الجاهلية كانوا هم أهل المعرفة ، ويستندون في ذلك إلى أن « الشعر » اشتق من فعل « شعر » - على حد اعتقادهم - و « شعر » معناها في الأصل « علم » ، وبذلك يصير مفهوم كلمة « الشاعر » وفق هذا الاشتقاق « العالم » ، ويميل المستشرق جولديره Goldziher (٢) إلى هذا الرأي ويرى أن « شاعر » تعني « عالم » بمعنى أنه كان عالما بخصائص فنه وشاعرا بقوة شعره السحرية ، وقد أيد تريثون Tritton هذا التفسير في دائرة المعارف الألمانية .

ويؤي هذا الرأي معارضة مؤدعنا أننا لا نجد في العربية فعل « شعر » بمعنى ألف البيت أو القصيدة .

ويرى فريق آخر أن كلمة « شعر » محرفة أو منقولة عن كلمة عبرية هي « شير » (٣) بمعنى الثنية أو التسمية القدسية ، ومن أنصار هذا الفريق المستشرقان ساول هاويت ، ولندبرج ، وبعض الأدباء العرب مثل سلامة موسى ، وأحمد زكي أبو شادي في مقدمة كتاب العين سنة ١٩٣٤ م .

ولم يسلم هذا الرأي كذلك من سهام المعارضين الذين يدعون أن « الشين » العبرية لا تقابلها « شين » في العربية بل سين ، وأن « العين » في العربية لا تقابلها « ياء » في العبرية ، وهاتان حقيقتان يعرفهما تماما كل من تصدى لدراسة العلاقة بين العربية والعبرية .

وأما ما كان أصل هذه الكلمة فقد سجل العرب أخبارهم وظروف بلادهم الطبيعية في شعرهم ، فالشعر الجاهلي من أمثلة الوثائق التي يمكن الاعتماد عليها في دراسة ظروف بلاد العرب الجغرافية .

ويجب أن نعي جيدا أن صفة « الجاهلية » (٤) التي أطلقت على الشعر الجاهلي ليست مشتقة من الجهل الذي ضد العلم ونقيضه ، إنما هي مشتقة من

الجهل بمعنى السفه والغضب والنزق ، فهي بذلك تقابل كلمة الاسلام التي تدل على الخضوع والطاعة لله عز وجل .

وإذا ما حاولنا أن نحدد عصر الشعر الجاهلي فأننا نجد أن أقدم ما نعرفه من الشعر المستند إلى مصادر صحيحة نسبيا لا يمتد إلى ما قبل المائة السابقة على موعد النبي عليه السلام بكثير . ويقول الجاحظ (٥) : أما الشعر فحدث الميلاد صغير السن ، أول من نهج سبيله وسهل الطريق إليه امرؤ القيس بن حجر ومهلل بن ربيعة ، ويرجع عصره إلى ما نفي عام قبل الاسلام .

وتشير كتب الادب واللغة إلى نيف وثمانين (٦) شاهرا عاشوا في عصر الجاهلية ووصلت اليها أبيات من أشعارهم متفرقة في كثير من كتب التراث العربي .

أهمية الشعر الجاهلي ومجالات الاستفادة منه قبل أن تتعرض لمجالات الاستفادة من الشعر الجاهلي في دراسة جغرافية الجزيرة العربية ، ينبغي لنا أن نشير إلى أهمية الشعر الجاهلي بصفة عامة .

ترجع أهمية الشعر الجاهلي في أنه أهم المصادر المتاحة التي نستقي منها الكثير من المعلومات عن الفترة السابقة للإسلام ، وكان أبو هلال العسكري محقا حينما قال (٧) :

لا تعرف أنساب العرب وتواريخها وأيامها ووقائعها إلا من جملة أشعارها فالشعر ديوان العرب وخزانة حكمتها ومستنيط آدابها ومستودع علومها .

ومن المعروف أن اهتمام العرب القدماء بالشعر قد فاق اهتمام كثير من الشعوب الأخرى ، وفي ذلك قال الجاحظ (٨) :

قال الهيثم وابن الكلبي وأبو مبيد ، فكل أمة تعتمد في استنباط ماثرها وتحسين مناقبها على ضرب من الضروب وشكل من الأشكال ، وكانت العرب في جاهليتها تحتال في تغليدها بأن تعتمد في ذلك على الشعر الموزون والكلام الملقى وكان ذلك هو ديوانها .

وجاء في كتاب المقد الفريد (٩) عن الشعر الجاهلي : لقد بلغ من كلف العرب به وتفضيلها له الشعر ، أن عمدت إلى سبع قصائد اختارتها من الشعر القديم ،

فكتبتها بساء الذهب في القياطي (١٠) المدرجة ، وعلقتها في أستار الكعبة ، فمنه يقال مذهبة أسرى القيس ، ومذهبة زهير ، والمذهبات سبع (١١) .

ومن الجدير بالذكر أن تشير الى أن ما وصل إلينا من الشعر الجاهلي ليس إلا القليل من الكثير ولا يمثل إلا ما استطاع الرواء أن يحفظوه من النسيان ، وفي ذلك يقول عمرو بن العلاء (١٢) : ما أنتهى اليكم مما قالت العرب إلا أقله ، ولو جاءكم والحرا ، لجاءكم علم وشعر هزير .

ومن الأمور الأخرى التي يجب الإشارة إليها أن جميع ما نعرفه من شعر الجاهلية (١٣) إنما هو لأهل نجد والحجاز والبحرين (١٤) أو لمن سكن في هذه الأنداء ، أما أهل الحضر من سكان اليمن ومهرة وحضرموت وسان فلا يعرف لهم أبيات صحيحة الرواية لا بالعربية ولا بالعميرية ، وعن هنا فإن كل ما جاء من وصف لطروف جغرافية يتعلق بصفة رئيسية بتلك المناطق التي جال فيها الشعراء الجاهليون وصالوا .

مجالات الاستفادة من الشعر الجاهلي في دراسة جغرافية الجزيرة العربية :  
أتاح الشعر الجاهلي أمام الدارسين لجغرافية الجزيرة العربية مجالات عديدة ومتنوعة ، يمكن أن نتناولها على النحو التالي :

#### أولا : الجغرافيا التاريخية للجزيرة العربية :

الجغرافيا التاريخية هي إحدى فروع علم الجغرافيا . وتهتم الجغرافيا التاريخية بدراسة الجغرافيا الطبيعية والبشرية للعصور التاريخية ، وفترات ما قبل التاريخ (١٥) . وهي بهذا الوصف ليست فرعاً من الجغرافيا الطبيعية أو البشرية ، وإنما هي فرع جنسائي مستقل يدرس الجغرافيا بشتى فروعها لعصور أو فترات ماضية .

وتستند الجغرافيا التاريخية الى حقيقة عامة وهي أن ما نراه اليوم ( على سبيل المثال ) من مظاهر سطح الأرض ليس إلا صورة مؤقتة لمصراع أبدي بين مظاهر سطح هذا الكوكب وعوامل التآكل المختلفة من رياح وأمطار وأنهار بالإضافة الى ما يقوم به الإنسان من شق لأنفاق وطرق وترع . وعلى الرغم من اختلاف تعريفات الجغرافيا التاريخية إلا أن هناك سمات مشتركة بين هذه التعريفات ، وعلى سبيل المثال يرى براون (١٦) أن الجغرافيا التاريخية هي جغرافية الماضي ، ووصفها جريفت تيلور بأنها دراسة أي فترة تاريخية تحتوي على أدلة تاريخية .

ويقول عبد الفتاح وعبيد (١٧) : لعل أكثر مفاهيم الجغرافيا التاريخية شيوعاً ذلك التعريف الذي يعتبرها العلم الذي يسعى لإعادة بناء جغرافيات الماضي ، ولا تقصد بجغرافيات الماضي الدراسات الإقليمية فقط بل كل فرع من فروع الجغرافيا بمفهومها الحالي من طبيعية وبشرية .

وتدرس الجغرافيا التاريخية بصمات التغير الذي ينتاب سطح الأرض وتبحث في أسبابه وسبلها إلى ذلك دراسة ما يعثر عليه من آثار عضوية للنباتات والحيوانات . وتعرف هذه البقايا والآثار العضوية بالحفريات أو الأحافير (١٨) أو المستحاثات . وأما ما كان تعريف الجغرافيا التاريخية ، فإن ميدانها يكاد يكون من الأمور المتفق عليها ، فهي تدرس فيما تدرس التغيرات الجغرافية عبر التاريخ . ولئن تيسرت الحفريات التي تعتمد عليها دراسة الجغرافيا التاريخية للكثير من الأقطار فإنه وحتى الآن لم تيسر مثل تلك الحفريات على نطاق واسع بالنسبة لشبه الجزيرة العربية ، ويرجع ذلك إلى أن المساح الجاف قد ساد الكثير من جهاتها وأصبحت عمليات البحث ليست بالهينة في هذه المساحات الشاسعة ، وأن كان قد تم العثور على أدوات حجرية ترجع إلى العصر الحجري القديم الأسفل في غربي الربع الخالي ، وعثر كذلك على أدوات حجرية في شمال المملكة وذلك عند مد خط التاهلين وترجع هذه الأدوات إلى العصر الحجري الأوسط . وهناك آثار بشرية أخرى في عدة مناطق متفرقة مثل منطقة القار ، وحيون الجواء ، مدائن صالح وغيرها .

وفي ظروف كظروف الجزيرة العربية ، حيث لا تتوفر الوثائق التاريخية التي عثر عليها بشكل يتيح دراسة متكاملة عن الجغرافيا التاريخية للجزيرة العربية ، يصبح الشعر الجاهلي أداة هامة ووثيقة نادرة في دراسة هذا الفرع الجغرافي . وبمعنى آخر يصبح نوعاً من « الحفريات اللغوية » أو بقايا من كلام السابقين تصور لنا ظروف بيئتهم الطبيعية من مظاهر سطح ومناخ ونبات ، حتى لكاننا نرى ما نقرأ من شعرهم ونمايش ما نسمعه .

على أن هناك أمراً هاماً نعيد الإشارة إليه وهو أن الشعر الجاهلي لم يشمل كل أطراف الجزيرة العربية وبقاعها بشكل تفصيلي وإنما اقتصر في ذلك على نجد والحجاز والأجزاء الشرقية وذلك فيما كان يعرف بالبحرين بحكم موطن الشعراء .

وعلى سبيل المثال وليس الحصر نورد بعض الأمثلة التي توضح بها كيفية استفادة الجغرافيا التاريخية من الشعر الجاهلي :

قال الأعشى :

وليسوا أن دون لغائهما      المروت دافعة شاميه  
لمبرته سبحانه ولو      غمرت مع الطرمام غايه

يشير هذا الشبان الى وفرة المياه في وادي المروت لدرجة جعلته كالنهر بحيث يعبر سباحة \* ويستقي باحث الجغرافيا التاريخية من ذلك أن أسطار الماضي كانت الخزر من الأمطار الحالية ، كما أن كثرة الأودية وعمقها واتساعها تتأزر مع أشعار الجاهلية في تأكيد هذه الحقيقة \* وقد دلت الدراسات على أن أودية الرمة ، وحنيفة ، والدواسر كانت من أعظم نظم التصريف النهري في الجزيرة العربية \* وتدل دراسات الشركات الاستشارية (١٩) على أن روافد وادي الدواسر كانت تعمل له كميات عظيمة من الماء والارسابات الفيضية من منطقة الدرع العربي وتنتج بها شرقا وقد أدى ذلك الى تكوين السهول الرسوبية الضخمة التي تغطي مئات الكيلومترات في مناطق الخسامين والسليل والتي يصل سمك طبقاتها الطميية الى مائة متر في بعض المناطق \*

وفي معلقة لبيد (٢٠) وصف يارح لبقرة وحشية تعقبها الرماة يتبلمهم ولما يشوا أن يصيبوا منها مقتلا أرسلوا في أثرها جوارح الكلاب التي كانوا يستعينون بها في الصيد ، وما أن اقتربت الكلاب من البقرة حتى نشبت معركة حامية قتلت فيها البقرة كلبتين هما كساب وسخام وقال لبيد في وصف هذه المعركة :

حتى اذا يش الرماة وأرسلوا  
هضفا دواجن قافلا أصمامها (٢١)  
فلحقن واعتكرت لها مدريه  
كالسهرية حنمها وتماها (٢٢)  
لثودهن وأيقنت ان لم تسف  
أن قد أحسم مع العتوف صامها (٢٣)  
فتقصدت منها كساب فخرجت  
بدم وغودر في المكر سخامها (٢٤)

من الأبيات السابقة يستطيع باحث الجغرافيا التاريخية أن يتعرف على نوع من الحيوانات البرية التي كانت تعيش في الجزيرة العربية وهي الأبقار الوحشية \* وقد حفل الشعر العربي بذكر أنواع عديدة من الحيوانات بعضها قد انقرض مثل

الأسود ، والعمر الوحشية ، والثيران البرية ، وبعضها الآخر لا تزال أعداد قليلة منها موجودة مثل الثعالب والذئاب وغيرها .

وحينما يدرس الباحث البيئات العالية التي تمش فيها أمثال الحيوانات التي انقرضت في الجزيرة العربية فإنه يتعرف بصفة عامة على ما كان يسود الجزيرة من حياة نباتية ومناعية .

ومن الأبيات السابقة أيضا يمكن التعرف على نمط من أنماط النشاط المعيشي للعرب في الجاهلية ألا وهو الصيد باستخدام الكلاب . ووفق هذين المثالين السابقين من أشعار الأعشى ، و « لبيد » يمكن أن نتعرف من أشعار الجاهليين (٢٥) على كل الظروف البشرية المثلة في النشاط الاقتصادي والمعدات والتقاليد وغير ذلك مما تهتم به الدراسات الجغرافية .

## ثانيا : التعرف على تطور الفكر الجغرافي عند العرب :

تشعبت معارف العرب الجغرافية ونمت بحكم معاشتهم لطرق بيئتهم واعتمادهم على الترحال والتنقل وعرفوا الأنواء ونجوم الاهتداء (٢٦) ، لأن من كان بالصعاصع الأماليس (٢٧) - حيث لا إبرة ولا هادي مسح حاجته الى بعد الشقة - مضطرا الى التماس ما ينجيه ويؤديه ، ولعاجته الى الفيت وفراره من الجذب وضنه بالحياة اضطرته الحاجة الى تعرف شأن الفيت ، ولأنه في كل حال يرى السماء وما يجري فيها من كواكب ويرى التعاقب بينها والنجوم الثوابت فيها .

وسئلت اعرابية فقيل لها : أتعرفين النجوم ؟ قالت سبحانه الله أما أعرف أشباحا وقلوبا على كل ليلة !

وفي مجال معرفة الجغرافيا الفلكية عند العرب يقول ساعد بن أحمد (٢٨) :

كان للعرب معرفة بأوقات مطالع النجوم ومنازبها وعلم بأنواء الكواكب وأعطارها على حسب ما أدركوه بقرط العناية وطول التجربة لاحتياجهم الى معرفة ذلك من أصياف المعيشة لا عن طريق الحقائق ولا على سبيل التدريب في العلوم . ولقد ضبط العرب مقدار السنة الشمسية برصد الأنواء فكانوا أيضا يجمعونها مواليث ديونهم وغيرها فيقولون مثلا (٢٩) :



« إذا طلع النجم » ويقصدون بالنجم الثريا •

واهتم العرب بالرياح والأسطار لأهميتها القصوى بالنسبة لحياتهم التي تعتمد على الأعشاب في الرعي ، والأعشاب لا تنبت إلا بعد سقوط الأمطار ، وسقوط الأمطار يرتبط برياح معينة • وكان العرب يتشاءمون بالرياح الشمالية بسبب شدة برودتها ولأنها تنذر بالتمط (٣٠) وتنزل الجنب ، وكانوا يتجهون إذا هبت العسا وهي التي تهب من مطلع الشمس ، أما النكباء (٣١) فهي كل ريح يكون مهبها بين مهي ريحين • وذكر العرب الهيف وهي الريح التي تهب من قبل مهب الجنوب ، والديبور التي تأتي من الغرب •

وقال ذو الرمة :

أماضيب (٣٢) أنواء وميثان (٣٣) جرشا  
على الدار أعراف (٣٤) الجبال الأماثر (٣٥)  
وثالثة تهوي من الشام حرجف  
لها سنن فوق الحمى بالأعاصر  
ورابضة من مطلع الشمس أجفلت  
عليها بدمعاء الماء فقرار  
تحتها النكيب السواني فأكثرت  
حنين اللقماح القاربات العواثر

وقد وصف أحد الشعراء شدة حرارة رياح السوم فقال :

وهاجرة تشوي مهاما سوماها  
طيفت بها غيرانة واشتويتها

وقد وصف بشر بن أبي خازم أثر الرياح في أسماء الرمال وتغيير ملامح الأماكن بقوله :

تغيرت المنازل من سليمى  
برمة فالكثيب إلى بطاح  
فأجزاء اللوى فيران خبت  
مفتها المصنات من الرياح

وأجاد العرب دراسة ظواهر المناخ وعلاقتها بالمطر واستخدموا هذه العلاقات في أشعارهم ، وعلى سبيل المثال فالرعد مقدمة الفيت وحصى غلاته وقد استغل الأماشي العلاقة بين الرعد والمطر في قوله :

والشمر يستنزل الكريم كما استنزل رعد السحابة السبلا \*

وبلغ من أهمية المطر عند العرب أن جعلوه ضاية دعائهم بالخير لمن يرجون شكره ، فيقولون « سقى الله فلانا الفيت » ، وحصى الأيام طلبوا لها السقيا فإذا ذكروا أياما طابت لهم قالوا : سقى الله تلك الأيام \*

وجاء في أشعار النابغة الذهاني في رثائه للنعمان بن العارث :

سقى الفيت قبراً بين بصري وجاسم  
بنيت من الوسمي (٣٦) قطر ووايل

وقد ذكر الهمداني في كتابه صفة جزيرة العرب (٣٧) الأساليب التي كانت تلجأ إليها العرب في سنوات الجذب ومنها تار الاستمطار - وهي النار التي كانوا يسمطرون بها في الجاهلية حين يجتمعون ويجمعون عدداً من الأبقار ثم يمتدنون في أذنابها ومراقبها الأحطاب (٣٨) ثم يمتدنون بها فوق جبل ويشعلون فيها النيران ويرفعون أصواتهم بالتفزع والدعاء ، وفي ذلك يقول أحد الشعراء (٣٩) :

ويسوقون بأقرا يطرد المهل  
مهازيسل خشية أن يمسورا  
عاقدين النيران في شكر (٤٠)  
الأذئاب صدا كئيبا تهيج البحورا  
فاشتوت كلها فهاج عليهم  
ثم هاجت السى صبير صبرا (٤١)  
فراها الآله ترشم بالقطر  
واسى خيامهم مطسورا

والحقيقة العلمية التي يجب أن نشير إليها أن فكرة تكثيف السحب أو ما يطلق عليه « المطر الصناعي » مبنية على مثل ما كان يفعل العرب في الجاهلية ، إذ أن الطائرات تستخدم يوريد الفضة (٤٢) لانتاج الدخان الذي تصبح جزئياته تزيات

يكتنف حولها بحار اعماء الموجود في السحب ويطلق على هذه الجزيئات بويات التكثيف Condensation nuclei (٤٣) . وفي فرنسا أجريت تجارب حديثة أطلق عليها تجارب « متيوسرون » Meteosron ، وتعتمد هذه التجارب على أشعاع لستروول من خلال أعداد كبيرة من الشعل تستشر في مساحة تصل الى أربعة آلاف ياردة مربعة وتتخذ هذه المساحة شكلا سدس الأضلاع - وتستخدم هذه الشعل الرتيئية نحو مليون طن من الوقود كل دقيقة ، وقد أدت هذه التجارب الى إسقاط المطر .

ولو قارنا ذلك بما كان يفعلُه العرب قديما بعد أن أساسه العلمي هو أن يحدث النار يؤدي الى تصاعد الأدخنة التي تتكون من ذرات دقيقة من الكربون تكون بمثابة بويات للتكثيف ، ويشابه حرق الأبقار على الجبال استخدام الطائرات حاليا لأحداث الأدخنة .

وبالنسبة لظواهر السطح فقد ميز الشعراء الجاهليون بين كثير منها مثل الجبال التي تثارلوا وصفها في أثناء حديثهم عن قطع المناور ، وتماخر بعضهم بتسلق هذه الجبال مثل « تأبط شرا » .

الذي قال :

وقلعة كمينان الرمح يمارزة  
ضحيانة في شهور الصيف محراق  
بادرت قنتها صبحي وما كملوا  
حتى نمت ألها بعد افران

ويصف « تأبط شرا » هذه القمة الجلية بأنها تشبه سان الرمح مدقتها وطولها ويمرر بأنه سبق أصحابه ليس بسبب كسلهم ولكن بفضل قوته .

وقد وصف عمرو بن كلثوم الثملي (٤٤) جبل اليمامة المشهور « جبال طويق » في قوله :

فأعرض اليمامة واشمعت  
كأصناف ياهمي مصليتها

وقد وردت في الشعر المعالي اشارات كثيرة الى « الحرار » - ووصف علماء

العرب الحرار فقالوا (٤٥) « الحررة أرض ذات حجارة سود حرة كأنها أحرق بالنار » وقد ذكر الناجية الديباني في أشعاره « حرة النار » وهي الحررة التي كانت لا تزال تائرة حتى عهد العنيفة عثمان بن عفان وهي قرية من المدينة . وكان آخر حدث بركاني شهدته شبه الجزيرة العربية في سنة ١٢٥٦ م حين ثارت إحدى حرار شرقي المدينة لهضمة أسابع (٤٦) .

وذكر بشر بن أبي خازم حرة ليلي في قوله :

معاليمة لا همم إلا محبور  
وحرة ليلي السهل منها ولو بها (٤٨)

ووصف العرب في أشعارهم « الدارات » وهي كل ما اتسع من الأرض وأحاطت به الجبال (٤٩) ، وقد أحصى ياقوت الحموي (٥٠) سبعا وستين دارة استخرجها من كتب العلماء المثقة وأشعار العرب المحكمة . ومن أشهر الدارات « دارة جلجل » التي ورد ذكرها في شعر امرئ القيس في قوله :

ألا رب يوم لي من البيض صالح  
ولا سيما يوم يستارة جلجل

وقد جاء في كتاب جزيرة العرب للأصمعي أنها من سارل حجر الكندي بنجد ، وذكر ابن بطوطة أنه « دارة حلال » وأطلق العرب على التكوينات المعصوية والرملية المحتلطة التي تبرز بلون حجارتها تعبير « البرق » .

وتسبب برق ديار العرب على مائة كما ذكرها الربيدي (٥١) . وغالبا ما اتحدت بعض هذه البرق أماكن لاستقرار بعض القبائل ، ومن هذه البرق « بركة نهد » التي افتتح بها طرفة ممعته قتل (٥٢)

لخولة أطلال ببرقية نهد  
تلسج كباقي الوشم في ظاهر اليد

وبركة الروحان التي وردت في شعر صيد حين تحمر على تمرق قومه

لمن الدهار ببرقية الروحان  
درست ولغيرها حروف زمان

وأطلق العرب تعبير « الرياص » على الأحوال الصعبة التي تحدث إليها مياه الأمطار فتسريح فيها ، وذكر ياقوت الحموي (٥٣) أكثر من مائة وثلاثين روضة ، وس أمانة التي ورد بها ذكر الرياص ما قاله ليبد (٥٤)

### هلكت حمار فلم يبق منها برياض الأصواق إلا الدهار

وقد وردت أوصاف لظواهر جمرية تصاريفية أخرى مثل الأودية والكثبان الرملية والصحاب التي حمل بها الشعر الجاهلي بحيث لا يجد داعياً لمزيد من الأمثلة التي ما قصدياً من ذكرها إلا لتكون نماذج للاستشهاد بها .

### ثالثاً : تحقيق بعض المصطلحات الجغرافية التي استخدمها العرب

إن ظروف الجفاف التي حلت بالجزء الأكبر من جزيرة العرب دفعتهم إلى الاهتمام بالمطر ولتطلع نحو أسماء ومراقبة الأجرام السماوية ومحاولة ربط سقوط الأمطار بنجوم ، وقسموا مدار انحر إلى ثمان وعشرين منزلة وكل منزلة ترتبط بمجموعة من النجوم ، وأطلق العرب تعبير « التواء » على سقوط المنزلة بالمغرب ، وسبوا إلى « التواء » كل ما يحدث من رياح ومطر وأصبحوا يقولون مطرنا يوم كذا وكذا . وتستمر كل منزلة ما بين غروبها وطلوعها ثلاثة عشر يوماً .

وقد حدث اختلاف وتضارب في تحديد مفهوم « سوء » عند علماء اللغة (٥٥) ، فمنهم من نسب إلى المنزلة ما يكون من أولها فقط ، ومنهم من وقت غروب كل منزلة أو طلوعها أيما معدودة لئونها أو بارحها فإد انشئت هذه اللمة لم يفسد إليها ما يكون بعدها ، قال ليروني (٥٦) : وبانقول الأخير أحد الجمهور .

وقال بعض علماء اللغة أن سوء مسوب إلى طلوع المنزلة وقت طلوع الشمس لا إلى غروبها في هذا الوقت .

وقد استعاد المستشرق لاطاني ، نيسو ، من الأشعار الجاهلية في الانضمام إلى الذين يروون أن سوء هو غروب اشمس وذلك بعد أن درس بعض الآيات لعدي من ريد الصادي بأحدى وعشرين سنة ، ويقول عدي

## من خريطة سماء نوء من الدلو تدلى ولم توارى الصراقي

وبالرجوع إلى الجداول الملكية ، التريجات ، تيس ، لطيوم ، أن الدلو كان يطلق بالمدوات يوم ٩ مارس ، ويمر ب يوم ٨ سبتمبر ، فإذا دكر الشاعر في بيته الحريد ( وهو اسم أول مطر بعد الصيف ) فمعنى ذلك أنه أراد باليوم ما يكون من الأسطار عند شروب تينك المزلتين .

### رابعا : تحقيق أسماء الإعلام الجغرافية ودراسة تطورها :

ويهتم بهذه الدراسة علم الأسماء الجغرافية أو ، التوبونيمي ، Toponymy ويرتبط هذا الفرع ارتباطا وثيقا بالجغرافيا الاجتماعية والجغرافيا التاريخية (٥٧) . وقد أسهم في هذا المجال بعض المفكرين والأدباء السعوديين المعاصرين ، وقد اعتمدوا في ذلك اعتمادا كبيرا على الشعر الجاهلي ، ومن أبرز هؤلاء ، الباحث المحقق محمد بن عبدالله بن بليهد ، وعلامة شمس العريضة العربية حمد الجاسر ، والأديب المعروف عبدالله بن محمد بن حميص ، والباحث المعروف الدكتور عبدالله أبو عيسى .

وعسى أنرقم مما يدلّه هؤلاء المختصون للتراث العربي ، إلا أن هذا المجال ما زال نكرا وينتظت الكثير من البحوث والدراسات وبدل المريد من الجهد والعناية .

ويقول عبدالله أبو عيسى (٥٨) فيما يتعلق بالاعتماد على الشعر في تحديد وتحقيق الأسماء الجغرافية ، ولكن يسمى أن تكون عدد دئم لما قد يوقصا فيه اعتمادا على لشعر وحده فيما يختص بالأماكن الجغرافية من أعطاء ، لا في لرداة سم المكان فقط بل وفي تحديده ، .. ويشأ هذا أيضا كذلك من أن بعض المواقع يسمى باسم نوع من الشعر ٠٠٠ أو باسم لون من الألوان ٠٠٠ أو حتى باسم حوادث تاريخية وكل ذلك يمكن أن يوجد في أكثر من منطقة بل أنه يوجد في شمالي الحجاز وحده أكثر من مكان يسمى واحد مثل الرحمة والسباد والمدن ورايح وأيلة والشجرة ولغلة وغير ذلك كثير .

ويشير حمد العاسر (٥٩) إلى أنه قام بحولات صويلة قطع فيها آلاف الأميال في شق الحريرة وفي وسطها وفي شمالها وفي غربها وفي جنوبها وخرج من ذلك كله

يسائج قيمة منها ، اضطراب تعدده اعتقدى لمواضع وردت في الشعر القديم اضطرابا يقف به الباحث موقف الحيرة . يسب تضارب الأقوال . كما أن المتقدسين قد أوردوا أقوالا مختلفة متضاربة في تحديد موقع ما . فهناك من يقول أنه في بلاد بني فلان ، وآخر يحالف هذا القول ، وثالث يبعد الشقة ، ولم يلاحظ كثير من المتقدسين من المؤلفين أن الاسم الواحد قد يطلق على مسيات عديدة . ولم يدرك بعضهم أن القبائل من طبيعتها نقل كثير من أسماء بلادها المحوية إلى أماكن أخرى . ومن ثم نجد الخطأ في تحديد المواضع .

وقد ذكر ابن خنيس في تعدده لجل «الستار» قول ابن بيهدي الذي جاء فيه الستار في بلاد العرب الذي رأته وعلمته اثني عشر جبلا .

ويحمل حمد الجاسر (٦١) ظاهرة اشتراك أكثر من مكان في اسم واحد وإن كانت المواقع متباعدة بقوله :

هناك أسماء تشترك في معانيها من حيث التسمية . ومن عادة العرب تسمية الموضع بصمة قرية من طبيعته . ومن هنا نشأ إطلاق الاسم الواحد على صميات (٦٢) مختلفة . تنصف بصمة واحدة . وإن كانت مواقع متباعدة . وهذا ما لم يلاحظه كثير من المؤلفين .

وقد حقق حمد الجاسر بعض الأسماء وحدد بعض المواضع وعلى سبيل المثال تحديد موقع مدينة « حرش » (٦٣) المدينة التاريخية التي تضاربت الآراء في تحديدها فمن قائل أنها « بلجرشي » (٦٤) «البلية» ومن قائل أنها « أبها » . ويتفق حمد الجاسر مع ما يراه الشيخ علي بن عدالله بن حميد من أن « حرش » تقع جنوب شرقي مدينة أبها بما يقارب ٤٠ كيلومترا في أعالي وادي بيشة .

ومما وصل إليه ابن بيهدي من در سانه التي اعتمد فيها كثيرا على الشعر الجاهلي أن « العزن » هو « العزل » (٦٥) ، و « كتيب » العبة « هو » عرق بسان » . ومن أمثلة ما ذكره عبدالله بن خنيس (٦٦) « صرماء » « محرفة عن « قرماء » . و « الرغام » هو « عريق البلدان » . و « برقة خيرير » هي « عثم العسان » . واعتراض ابن خنيس منى ما يقع فيه كثير من الكتاب في رسم كلمة « مرأة » بالتمام المفتوحة « مرث » ، وأشار إلى أن كتابا « مرث » بالثاء المفتوحة خلط يجب الانتهاء عنه . واستشهد بما يؤيد رأيه في قول دي الرمة (٦٧)

ولما وردنا سواة السوم خلقت  
دساكر ثم ترتفع لغير ظلالها

وقد ذكر ابن بطيهد (٦٨) قول امرئ القيس :

أحب دهاج من حمير عماية  
يمح لسان البقل في كل مغرب

إلى تحديده لتعبير « عماية » قال : وقد اختلفوا في عماية ، منهم من قال انها  
بالبحرين ، ومنهم من قال انها في عابية نجد في سواد باهلة ، والروايتان كلتاهما  
مجانبة للصواب ، فعماية جبل عظيم في عارض اليمامة - وعماية ودها جبل ذا  
مصببات متقاربة كبار دواب العرب في الرمن القديم يابون اليها فاذا دخل أحدهم  
عماية عسى غيره ، ومسالكتها منيمة ، اذا دخلتها لم تهدد الى طرفها كأنك أعمى ،  
لمن هنا سميت عماية ، وقد زال اسمها اليوم .

ويعتقد كاتب هذا المقال أن بالمسطقة الشرقية ، « التي كانت داخلة فيما يعرف  
بالبحرين قديماً » جبلاً تنطبق عليه صفة « العماية » وهو « جبل قارة » بالاحساء ،  
على أن ما قصده امرؤ القيس فقد يكون ما ذكره الشاعر الكبير الشيخ محمد بن  
هشيم من وجود عمایتين بين بريك وبرىك ، وبين برك والأفلاج ، أي أن العمایتين  
على جانبي وادي برك ، وقد أخذ البليهد رأيه من بن هشيم .

ويجب أن نشير إلى أن تحقيق الأسماء ومواضعها من أشق الأمور وأصعبها  
ويرجع ذلك إلى التقصي والتحقيق وتجشم السفر - ويذكر فستعلند (٦٩)  
Wustenfild ( وهو من الذين اهتموا بدراسة جغرافية بلاد العرب ، وذلك في  
كتابه « البحرين واليمامة » " Baherein und Yemama " ، أن وجود الأعلام  
الجغرافية عند الشعراء يمثل بالنسبة لأبحاثنا مادة لا تلدر بثمن ، وقد استقى مادته  
من البكري وهاقوت العموي وغيرهما من الذين بذلوا مجهوداً كبيراً في جمع الأسماء  
وتحقيقها وتجشموا السفر إلى مواضع نائية لينتقلوا بأنفسهم من مواقع المواضع  
التي ذكرها الشعراء ويسألوا الأعراب عنها .



خامساً : الاستفادة من المصطلحات ذات الصيغة الجغرافية الواردة في الشعر الجاهلي وذلك في ترجمة المصطلحات الجغرافية .

ان من يتطلع في الكتب الجغرافية العربية ، يجد أمر حبيساً وهو اختلاف الجغرافيين في ترجمة المصطلحات الجغرافية الدالة على معانٍ واحدة ، حتى أن أنقاريوس المبتدئ ليقع في المبهمة والحيرة والاختلاف ، وبعض مترجمين يترجم لاصطلاح الأوروبي بلفظ معين ، ثم د صادمه نفس لاصطلاح الأوروبي ترجمه بلفظ عربي آخر وقد يكون ذلك في نفس المقال أو الكتاب الواحد - وإذا كان الأمر كذلك بالنسبة لكاتب واحد فمادام يتوقع د بالسنه العديد من الجغرافيين في الأقطار العربية ، لصيدة ؟ ليس الا الاختلاف و لغرض في المصطلحات والتسميات الجغرافية مما لا يسمح بوجود مدرسة جغرافية عربية ، وعلى سبيل المثال يطلق على نهاية الأودية العربية في مصر « مروحة عريضة » (٧٠) وفي سوريا « مخروط الانصباب » وسبب ذلك أن هذا التمييز قد ترجم في مصر عن " Alluvial Fan " وفي سوريا عن " Cone de dejection " .

ومن واقع هذا الاختلاف الذي يتزايد يوماً بعد يوم بازدياد حركة الترجمة ، ينبغي علينا أن نعود إلى تراثنا العربي ولا شك أننا نجد الكثير مما يمين في توحيد المصطلحات الجغرافية ، وعلى سبيل مثال نذكر بعض المعادج التي تؤيد ذلك .

قال امرؤ القيس :

لما نبتك من ذكر حبيب مشول  
يسقط اللوى بين الدخول فحومل

السقط هو الرمل المنقطع ، واللوى : الرمل المنقوي -  
وقد ذكرت في شعر الجاهلي أسماء كثيرة لأشكال الكثبان الرملية ، منها الكتيب واسق ، وانحف والدمص ، والحن وهو لكتيب مستطيل .

وقد صنع العرب اسحب ووصفوها فتها « المراض » إذا كان دا برق وورعد ، وإذا كانت السحب متراكمة فهي « الكرفي » ، وإذا كانت سوداء فهي « طحيا » .

وقد أورد الثعالبي (٧١) ثمانية وثلاثين صنفاً و سماً للصح كما ذكر خمسة وثلاثين اسماً للصح وقد وردت هذه الأسماء والصناعات في الشعر الجاهلي .

وخلاصة لقول أن الشعر الجاهلي يمكن أن يكون ذا قيمة وحدوية في مجال الترجمة بحيث تكون هناك مصطلحات جغرافية عربية واحدة ، ولا تستعد هذه المصطلحات كما هو موجود الآن بشكل يدعو إلى الدهشة والتعجب .

وبعد فهذه هي المجالات التي يمكن أن تستفيد منها الجغرافيا من الشعر الجاهلي كما تراوت لكاتب هذا المقال . وما زال هذا الموضوع في حاجة إلى دراسات تفصيلية ودقيقة حتى يستفيد من هذا التراث العالمة وليس هذا مقال إلا رهنة غفيمة على أكتاف الجغرافيين العرب لينتفعوا إلى ثرائهم ويمطووه ولو قدرا قليلا من اهتمامهم الذي أصبح أسيرا لثقافات المربية .

## خاتمة

يرجع ما وصل إلينا من الشعر الجاهلي إلى نحو قرنين قبل ميلاد المسي عليه السلام ، ويمس هذا الشعر إلى سيف وتنايب شاعرا . ولقد تناول الشعر الجاهلي كل ما يتعلق بحياة العرب حتى لقد قال أبو حلال العسكري أن الشعر ديوان العرب وخزانة حكمتها ومستسط أديبها ومستودع علومها .

وقد أتاح الشعر الجاهلي مجالات كثيرة أمام الجغرافيين لدراسة جغرافية الجزيرة العربية . ومن هذه المجالات دراسة الجغرافيا التاريخية للجزيرة العربية أي دراسة لطرق الجغرافية في العصور التاريخية الماضية ، كما يفيد الشعر الجاهلي في دراسة تطور الفكر الجغرافي عند العرب . وتحقيق بعض المصطلحات الجغرافية التي استخدمها العرب إلى جانب تحقيق أسماء الأماكن الجغرافية .

ويمكن أن يهم الشعر الجاهلي في حركة الترجمة بحيث يستعان بالمصطلحات العربية الأصلية بما يوجد هذه المصطلحات لترجمة ويمالج ما يسود الآن من فوضى نتيجة اختلاف الأقطار والتمسك لبعض المصطلحات التي تترجم ترجمة قاموسية ، هي النعمة التي أحدثت فيها دون نظر إلى التراث العربي .

## الهوامش والمصادر

- (١) كارل بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، ترجمة عبد الحليم النجار ، ص ١ ، دار المعارف ، الطبعة الثانية ، ص ٥٦ .
- (٢) كارل بروكلمان ، المصدر السابق ، ص ٥٦ .
- (٣) أحمد أمين ، فجر الإسلام ، ص ١ .
- (٤) شوقي صنيعة ، العصر الجاهلي ، دار المعارف بمصر ، الطبعة السابعة ، ص ٢٩ .
- (٥) الجاحظ ، كتاب ( تعقيق عبد السلام هارون ، طبعة المجلسي ، القاهرة ، سنة ١٩٤٣ ، ج ١ ، ص ٧٤ .
- (٦) كارلو نليو ، تاريخ الآداب العربية من الجاهلية حتى عصر بني أمية ، دار المعارف بمصر ، ص ٦٥ .
- (٧) أبو هلال العسكري ، كتاب الصناعات ، ص ١٠٤ .
- (٨) الجاحظ ، كتاب الحيوان ، ج ١ ص ٣٦ .
- (٩) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، الطبعة الأثرية ، ج ٢ ، ص ٩٨ .
- (١٠) لياب ككتانية تنسب في صناعاتها لأقباط مصر .
- (١١) اللحيات اسم للممعلقات ، ومن أسمائها الأخرى : السبع الطوال ، المشهورات ، السموط .
- (١٢) ابن سلام ، طبقات الشعراء ، ص ٦٠ ، فوزي عطوي ، الممعلقات العشر ، ص ١٣ .
- (١٣) كارلو نليو ، تاريخ الآداب العربية ، المرجع السابق ، ص ٦٩ .
- (١٤) المقصود بالبحرين هنا الأجزاء الشرقية من نجد المطلة على الخليج العربي .
- (١٥) يوسف توتي ، معجم المصطلحات الجغرافية ، بدون تاريخ ، من ص ١٥٤ - ١٥٥ .

- (١٦) محمد السيد غلاب ، يسرى الجوهري ، الجغرافيا التاريخية ، سنة ١٩٦٨ ، ص ٩ .
- (١٧) عبد الفتاح محمد وهيب ، مصر والعالم القديم ، جغرافيا تاريخية ، سنة ١٩٧٢ ، ص ٩ .
- (١٨) ألف جميع اللغة العربية استخدام لفظ « الأمازيغ » ويستلزم لفظ الاستعانة في سوريا .
- (١٩) Italoconsult, Water and Agricultural. Development Surveys for Areas II. and III., Final Report, Wadi Dwasir, Rome 1969, P. 5.
- (٢٠) شوقي صنيف ، الشعر الجاهلي ، ص ٨٠ .
- (٢١) الخلف : الكلاب ذات الأذن المسترخية ، النواجي : القديرات ، شافلا : بابسا ، الإصصام : ثلاث جندية تعلق في أعناق الكلاب .
- (٢٢) اعتكرت : رجعت - القربة : القرون العادة - السميرية : الرماح .
- (٢٣) الصمام : الموت - إحم : حان -
- (٢٤) تنصت : قتل من قولهم رماه فاقصده .
- (٢٥) سبقت الإشارة إلى أنه يوجد ثيف ولتمانون شاعرا عاشوا في عصر الجاهلية ولهم أشعار مدونة يمكن الرجوع إليها ودراستها .
- (٢٦) شوقي صنيف ، الشعر الجاهلي ، ص ٨٢ ، نقلا عن الجاسق .
- (٢٨) المرجع السابق ، نقلا عن طبقات الإسم ( طبع بيروت ) .
- (٢٩) كارلو نابليو ، علم الفلك ، ص ١٢٧ .
- (٣٠) نوري حمودي القيسي ، الطبعة في الشعر الجاهلي ، بيروت سنة ١٩٧٠ م ، ص ٥٥ .
- (٣١) العرب تسميتها لكباء لأنها تكبت من مهب الرياح أي عدلت .
- (٣٢) حليات القطر بعد القطر من المطر ، ويقال أصابتهم أعضوية من المطر .
- (٣٣) هيفان الجنوب .
- (٣٤) أمراء جمع عرف وهو الرمل المرتفع .

- (٢٥) الإمام : الرمل الأحمر أو ما بين الأبيض والأحمر \*
- (٣٦) الوسمي : مطر القريف \*
- (٣٧) التهادني ، صنعة جزيرة العرب ، ص ٢١٤ \*
- (٣٨) كانوا يستقدمون نوعين من الشجر هما « السج والعشر » لذلك القرص \*
- (٣٩) نوري حمودي ، من ص ٦٣ - ٦٤ ، ويسمى يختلف إلى أمية بن أبي الصلت اعتمادا على ما ذكره الجاحظ ( الميوان ٤/٤٦٦ ) \*
- (٤٠) الشكر : الشمر القصير بين الشمر الطويل \*
- (٤١) الصبح : السحاب الذي يظل يوما وليلة ولا يروح \*
- (٤٢) بدأ هذه التجارب Vonnegut في نوفمبر سنة ١٩٤٦ م \*
- (٤٣) Martin Simons, Deserts, 1967, PP. 76-78.
- (٤٤) محمد بن عبدالله بشيد ، صبيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار ، الطبعة الثانية ، ج ١ ، ص ١٠ \*
- (٤٥) لسان العرب ، ج ٢ ، ص ٢٤٢ \*
- (٤٦) جواد علي ، تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج ١ ، بيروت سنة ١٩٦٨ ، ص ١٤٧ \*
- (٤٧) نوري حمودي ، ص ٤٠ \*
- (٤٨) القوبه أو اللابه هي ما اشتد سواده وظلمة وانتاد على وجه الأرض من الغمم البركانية ( لسان العرب - ٢٠/٢٤٢ ) \*
- (٤٩) ألف الأصمعي كتابا فيها وهو « الدارات » \*
- (٥٠) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ص ٤٢٤ - ٤٣١ \*
- (٥١) الزبيدي ، تاج العروس ، طبعة دار ليبيا ، بنغازي ، ج ٣ ، ص ص ٢١٣ - ٢١٤ ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ص ٤٢٥ - ٤٢٢ \*
- (٥٢) نوري حمودي ، ص ٣٦ \*

- (٥٣) مجمع البلدان ، ج ١ ، ص ٢٩٠ - ٢٩٩ .
- (٥٤) ليبد ، الديوان / ٤٤ ، توري حموني ، ص ٢٨ .
- (٥٥) لليتو ، علم الملك ، ص ١٢٦ .
- (٥٦) البعوني ، الآثار الباقية ، ص ٢٢٩ .
- (٥٧) يوسف توني ، المرجع السابق ، ص ٣٠ .
- (٥٨) عبدالله بن ناصر الوهبي ، مجلة العرب ، العدد الخامس بالعدد المالية الأولى للوزارة  
لتاريخ الجزيرة العربية ، تحديد الشراء العرب للمواقع الجغرافية ، ص ٨٩٣ - ٨٩٤ .
- (٥٩) حمد الجاسر ، في شمال غرب الجزيرة ، نصوص ، مشاهدات ، انطباعات ، منشورات دار  
البيامة سنة ١٩٧٠ ، ص ٧ .
- (٦٠) عبدالله بن بليث ، الواز بين البيامة والجزائر ، ص ١٥٣ .
- (٦١) حمد الجاسر ، في شمال غرب الجزيرة ، ص ٧ .
- (٦٢) يقصد أماكن وظواهر جغرافية .
- (٦٣) حمد الجاسر ، في سرة غامد وزهران ، نصوص ، مشاهدات ، انطباعات ، منشورات دار البيامة،  
سنة ١٩٧١ ، ص ٤٧ - ٤٩ .
- (٦٤) بن بليهد ، في حاشيته على كتاب « صفة جزيرة العرب » .
- (٦٥) محمد بن عبدالله بن بليهد ، صحيح الاخبار ، ص ١٠ .
- (٦٦) عبدالله بن خيس ، الجزائر بين البيامة والجزائر ، ص ٣٦ - ٤٠ .
- (٦٧) الفصل السابق ، ص ٥٠ .
- (٦٨) بن بليهد ، صحيح الاخبار ، ص ٣٧ .
- (٦٩) كراتشوفسكي ، الادب الجغرافي ، ص ٤٤ .
- (٧٠) يوسف توني ، ص ٢ .
- (٧١) أبو منصور الثعالبي ، لغة اللفظ ، ص ٥٤ - ٥٥ .